دلالة الفطرة السليمة
على إثبات
وجود الله تعالى
وربوبيته وإبطال ما يناقضه

الباحث

د/ خالد بن ناصر بن ربيعان

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

المشارك بقسم أصول الدين

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الملك فيصل - الأحساء

المملكة العربية السعودية

دلالة الفطرة السليمة على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته وإبطال ما يناقضه

خالد بن ناصر بن ربيعان
العقيدة والمذاهب المعاصرة ، قسم أصول الدين – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الملك فيصل– المملكة العربية السعودية.
البريد الالكتروني: krubayan@kfu.edu.sa

ملخص البحث

يهدف البحث إلى بيان أهمية ومنزلة دليل الفطرة على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته، لأن معرفة الله تعالى هي أساس الإيمان به، ومن رحمته–صلى الله عليه وسلم– أن فطر الناس على تلك المعرفة وجبلهم على الإقرار بها، وبيان أن كل إنسان جعله الله مفطوراً ومقراً بربوبيته وألوهيته، شاهداً على نفسه بأنَّه مخلوق، والله خالقه، وأنه يستحق العبادة وحده، من غير سبق تفكير أو تعليم، وإن كان لا يهتدي إلى معرفة ذلك بالتفصيل.

وأن الكتب الإلهية والرسل والأنبياء جاءت مقررة لما يعرفه الناس من وجود ربهم، ومفصلة لما يجهلونه في حقه، وتعريفهم بربّهم معرفة مفصّلة، وبيان سبب أن القرآن لم يكثر من الاستدلال على وجود الله تعالى لأنَّ أغلب الخلق يقرون بوجود الخالق من غير دليل، فهو أمر فطريٌّ، وأجمعت الأمم الكافرة مع عظيم شركهم وكفرهم بالإقرار بالصانع، وأن الاستدلال بالأدلة السمعية والكونية والعقلية على وجود الله وربوبيته لا يعني عدم فطرية الإيمان بوجوده وربوبيته، لأن في هذا تقوية لما استقر في الفطر، وإصلاح لما طرأ عليها من فساد من التربية والجهل، ولهذا لما وُجدت شرذمة قليلة من الخلق أنكروا وجود الله تعالى بأفواههم وجادلوا وطالبوا بالدليل عليه جاءت الأدلة الشرعية الدالة عليه.

وجاءت الدلائل المؤكِّدة على دليل فطريَّة الإيمان بوجود الله وربوبيته من أدلة العقل والحس والشرع، ودل العقل على وجود الله وربوبيته بأدلة كثيرة جداً، تجمعها حقيقة عقلية أوّلية واحدة، وهي دلالة الأثر على المؤثر، إذ العالم كله دليل وشاهد على وجود الله وربوبيته لكل المخلوقات، ومن ذلك دليل الخلق والحدوث، ودليل النظر في المخلوقات والعناية، ودلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته من وجوه كثيرة جداً على أكمل وجه وأتم بيان وأوضحه بطرق عديدة، خبرية وعقلية.

الكلمات المفتاحية: دلالة، الفطرة السليمة، إثبات، وجود الله تعالى، ربوبيته، إبطال ما يناقضه .

The indication of common sense is to demonstrate the existence of God Almighty and to nullify his contradictions

Khaled bin Nasser bin Rabi 'an
Doctrine and contemporary doctrines, Department of Religious Origins - Faculty of Shari 'a and Islamic Studies - King Fisal University - Saudi Arabia.
Email: krubayan@kfu.edu.sa

Abstract

The research aims to explain the importance and status of the evidence of innate nature in proving the existence of God Almighty and His divinity, because knowledge of God Almighty is the basis of belief in Him, and it is His mercy - may God bless him and grant him peace - that He innates people with that knowledge and forces them to acknowledge it, and to explain that every human being is made by God to be innate. He acknowledges his lordship and divinity, bearing witness to himself that he is a created being, and God is his Creator, and that he alone deserves to be worshiped, without prior thought or education, even if he is not guided to know that in detail.

And that the divine books, messengers and prophets came to confirm what people know about the existence of their Lord, and detail what they do not know about Him, introducing them to their Lord with detailed knowledge, and explaining the reason why the Qur'an did not provide much evidence for the existence of God Almighty because most of creation acknowledge the existence of the Creator without evidence, as it is an innate matter. And the infidel nations agreed with their great polytheism and disbelief in acknowledging the Maker, and that inferring the auditory, cosmic, and rational evidence for the existence of God and His divinity does not mean that belief in His existence and divinity is not innate, because this is strengthening what was established in the innate nature, and correcting the corruption that has occurred in it through education and ignorance, and for this reason. There was a small group of people who denied the existence of God Almighty with their mouths, argued and demanded evidence for it, and the legal evidence proving it came from it.

The evidence confirming the innate evidence of belief in the existence of God and His divinity came from the evidence of reason, sense, and law. The mind indicated the existence of God and His divinity with very many pieces of evidence, united by one primary rational fact, which is the indication of the effect on the effector, since the entire world is evidence and witness to the existence of God and His divinity for all creatures. This includes the evidence of creation and occurrence, and the evidence of consideration of creatures and care, and the legal evidence from the Qur'an and Sunnah indicates proof of the existence of God Almighty and His Lordship from very many aspects in the most complete, complete and clear explanation in many ways, both experiential and rational.

Keywords: Connotation, Common Sense, Proof, The Existence of God Almighty, His Lust, Nullification, Contradictory.

[المقدمة]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لا يخفى أن الإيمان بوجود خالق رازق مدبر لهذا الكون هو الكفيل بأن يجلب الاستقرار لحياة بني آدم، ويحصل به الإجابة على تساؤلات البشرية: من صنع هذا الكون؟ وكيف صُنع؟ ولماذا صُنع؟ ومن خلق البشر؟ ومما خلقوا، ولماذا خلقوا، وما مصيرهم بعد موتهم؟ وغير ذلك من التساؤلات التي لا تزال تشغل أذهان بني آدم عبر القرون وعلى اختلاف الحضارات، فما من أمة على وجه الأرض إلا كان محور التساؤل عن الإله الرب الخالق الرازق القدير المدبر هو شُغلها الشاغل، وعليه قامت الحضارات والأديان الكبرى، ومن أجله أُنزلت الكتب وأُرسلت الرسل، وبسببه قامت الحروب، وتحالفت الدول، وانعقد الولاء والبراء بين أجناس البشرية المختلفة.

ولم يكن الإيمان بوجود الله وربوبيته مرهون في إثباته أو نفيه على العقول البشرية فقط، بل من رحمة الله تعالى أن جعل هذا الإقرار به مركوز في فِطَر بني آدم التي غرسها الله في البشرية منذ نشأتها، فلا يولد مولود إلا ومعه هذه الفطرة التي تقوده بدون جُهْد منه إلى ضرورة الاعتراف بوجود خالق رازق مدبر واحد لهذا الكون، ومع هذه الضرورة الفطرية البدهية بوجود الله وإثبات صفات الربوبية له إلا أنه وجدت شرذمة قليلة من بني آدم كابرت وعاندت فأنكرت وجود الله تعالى أو أنكرت بعض خصائص الربوبية أو أعطتها لبعض خلقه، فكان لزاماً على الباحثين أن يبينوا بالأدلة والبراهين أن الإقرار بالله تعالى أمر فطري، دلت عليه أدلة أخرى عقلية وحسية وشرعية، وأن من أنكر وجوده وربوبيته فقد خالف الفطرة البدهية لبني آدم، وخالف هذه الأدلة الصحيحة

الصريحة، وكان هو الشاذ الذي أتى بأمر منكر باطل.

[أهمية الموضوع وأسباب اختياره]

إن من أهم ما دفعني للخوض في خضم هذا البحث ما يلي:

١ – نصرة القول بفطرية الإيمان بوجود الله تعالى وربوبيته وتظافر الأدلة الفطرية والعقلية والحسية والشرعية الدالة عليه.

٢– تجلية أن القول بفطرية وجود الله وربوبيته هو قول أغلب البشرية من أصحاب الأديان السماوية والأديان الوضعية الذين أقروا بوجود الصانع لكل هذا الكون قديماً وحديثاً.

٣– معرفة شذوذ وغربة المنكرين لوجود الله تعالى، وأنهم ذهبوا لذلك مكابرة وعناداً من غير أدلة صحيحة.

[مشكلة البحث]

وتكمن مشكلة البحث في مجموعة من الأسئلة أهمها:

هل الإقرار بوجود الله تعالى أمر فطري؟ وهل الأدلة الفطرية مقنعة لإثبات وجود الله تعالى وربوبيته؟ وهل هناك أدلة أخرى مؤيدة للدليل الفطري نستطيع بها إثبات وجود الله وربوبيته. وهل البشرية بحاجة إلى أدلة لإثبات هذه الحقيقة؟ وكم نسبة المثبتين والمنكرين لوجود الله وربوبيته؟.

[أهداف البحث]

وتتحدد أهمية البحث في:

١ – أهمية بيان قيمة وضرورة دليل الفطرة البشرية على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته بين الأدلة الأخرى.

٢– بيان أن ذكر الأدلة العقلية والحسية والشرعية لا يعني إبطال فطرية الإيمان بوجود الله وربوبيته، بل هي أدلة مؤيدة لهذه القضية العظمى، وعلاج

لمن فسدة فطرته وتبدلت فأنكر وجود الله أو ادعى صعوبة الإقرار به.

٣- بيان كثرة الأدلة المتنوعة على وجود الله تعالى مما لا يدع مجالاً للشك في أن أغلب البشر منذ القدم إلى الآن كانوا مقرين بوجوده وربوبيته ولم يذهب لإنكاره إلا شرذمة قليلة.

[منهج البحث]

أما عن المنهج فقد يتنوع تبعاً لطبيعة البحث فهناك:

سلكت المنهج الاستقرائي والاستنباطي، وعزوت الآيات وخرجت الأحاديث مكتفياً بالصحيحين، فإن لم يخرجاه فإنني أجتهد في تخريجه من المصادر المعتمدة، وأعتني بتعريف الفرق، وتوثيق الأقوال، وذكر وفاة الأعلام فقط للاختصار ومثاله: ابن جرير (ت٣١٠هـ)، وأذكر المراجع على النحو التالي: لسان العرب (١٤/١٢) [ابن منظور، دار صادر، ط:١، ١٤١٢هـ]، وإن كان من جزء واحد فأقول: القاموس المحيط، ص١٢[الفيروز آبادي، دار الرسالة، ط:١، ٢٠٠٥م].

[خطة البحث] قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهرس المراجع.

المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع، ومشكلته وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: دلالة الفطرة السليمة على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: منزلة دليل الفطرة على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته.

المطلب الثالث: دلالة الفطرة على وجود الله وربوبيته.

المبحث الثاني: أدلة الإيمان بوجود الله وربوبيته، وإبطال ما يناقضه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نواقض ومظاهر الانحراف في توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: أدلة الإيمان بوجود الله وربوبيته.

الخاتمة وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس.

****

المبحث الأول: دلالة الفطرة السليمة على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية

أصل كلمة التوحيد من مادة (وحَّد)، فيقال: وحَّد يوحد توحيداً: أي جعله واحداً، ومادة (وحد) في اللغة مصدرها على انفراد الشيء[1]، فتوحيد الله معناه إفراد الله، فإن قلت: توحيد الله بالربوبية فمعناه: إفراد الله بالربوبية، وهكذا بقية أنواع التوحيد.

والربوبية لغة: مصدر من الفعل ربب، ومنه الرب، فالربوبية صفة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد المطاع، والمصلح[2].

وأما في الاصطلاح: فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله، ومنها الخلق والرزق والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله، وعَّرفه ابن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) بقوله: ((فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر))[3]، وقال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): ((والرب: هو المربي الخالق

---

(١) انظر: كتاب العين (٣/ ٢٨١) [الخليل الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، ت: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي]، وتهذيب اللغة (١٢٤/٥) [الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (٣/ ٤٤٦)[ابن منظور، دار صادر، ط: ١، ١٤١٠هـ].

(٢) انظر: القاموس المحيط ص:١١١ [الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٤٠٧هـ] ولسان العرب (٣٩٩/١).

(٣) تفسير الطبري(١٤٣/١) [الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠].

الرازق الناصر الهادي))[١]، وفي لفظة أخرى قال: ((والرب: هو الذي يُربي عبده فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها))[٢].

وعرَّف ابن القيم (ت٧٥١هـ) الربوبية بقوله: ((فيشهد صاحبه قيُّومية الرب تعالى فوق عرشه، يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع ولا مميت ولا محيي ولا مدبر لأمر المملكة ظاهراً وباطناً غيره، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته، فهذا جمع توحيد الربوبية))[٣]، وقال الشيخ سليمان بن عبد الله (ت:١٢٣٣هـ): ((وهو: الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر))[٤].

وقال الشيخ السعدي (ت١٣٧٦هـ): ((توحيد الربوبية: بأن يعتقد أن الله

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣)، [ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن قاسم، جمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط:١٤١٦هـ] وانظر: (١٠/ ٢٨٤)، (١٠/ ٥٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٢٢).

(٣) مدارج السالكين (٥١٠/٣) [ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٢، ١٣٩٣هـ]، وانظر: بدائع الفوائد (٣٦/٢-٣٥، ٢٤٧، ٢٤٩) [ابن القيم، دار الباز، ت: هشام عبد العزيز عطا- عادل العدوي، ط:١، ١٤١٦هـ]، وشفاء العليل، ص: ٦٦، ٧٨ [ابن القيم، ت: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت ، ١٣٩٨هـ].

(٤) تيسير العزيز الحميد ص: ١٧[سليمان بن عبد الله، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي/ ط:١، ١٤٢٣هـ].

هو الرب، المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، الذي ربى جميع الخلق بالنعم، وربى خواص خلقه- وهم الأنبياء وأتباعهم- بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين))[(١)].

وتوحيد الربوبية يشتمل على أمرين:

١ – الإيمان بوجود الله تعالى.

٢ – والإقرار بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومالكه، ورازقه، وأنه المحيي المميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، المقدّر لجميع الأمور، المتصرّف فيها، المدبر لها، ليس له في ذلك كله شريك[(٢)].

وهناك علاقة وثيقة بين الكلام عن وجود الله تعالى وبين ربوبيته تعالى، فالإقرار بوجود الله هو إقرار بوجود خالق مدبر رازق لما عداه، وهذه هي معاني الربوبية، فمن يقر بوجود الخالق لهذا الكون يعني تماماً الإقرار بربوبيته، لا فرق بينهما، إلا أنَّ إنكار وجود الرب تعالى أشد نفرة في فطر الخلق من إنكار بعض مظاهر الربوبية لله تعالى، وهو ما سأبيّنه في المطلب التالي.

---

(١) القول السديد، ص:١٣، [عبد الرحمن السعدي، وزارة الشئون الإسلامية، ط: ٢، ١٤٢١هـ]، وانظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص: ٢٣[حافظ الحكمي، ت: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط: ٢، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: مدارج السالكين، باب التوحيد (١/ ٣٣ – ٤٦، ٣/ ٤٦٨)، وشرح العقيدة الطحاوية، ص:٢٥[ابن أبي العز الحنفي، ت: شعيب الأرناؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١٠، ١٤١٧هـ]، وتيسير العزيز الحميد، ص:١٧، والقول السديد، ص:١٨، ومعارج القبول (١/ ٩٩) [أحمد حكمي، ت: عمر محمود، دار ابن القيم، ط:١، ١٤١٠ هـ]، وتسهيل العقيدة الإسلامية، ص: ٤١ [عبد الله الجبرين، دار العصيمي، ط:٢].

المطلب الثاني

أهمية ومنزلة دليل الفطرة على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته

لما كانت معرفة الله تعالى هي أساس الإيمان به؛ كان من رحمته -سبحانه وتعالى- أن فطر الناس على تلك المعرفة وجبلهم على الإقرار بها، ولهذا كان الإقرار بوجود الله تعالى من الأمور الضرورية الفطرية البديهية، ومن أعظم الحقائق المركوزة في فطر بني آدم على مر العصور، والتي شهدت بها عقولهم، بل إنَّ معرفته مستقرة في الفطر أعظم من معرفة كل معروف(١)، ولذا فإنَّ الإيمان بوجود الله تعالى، وتحقيق كمال وحدانيته أصل الدين وقوامه.

والرسل جاءت مقررة لما يعرفه الناس من وجود ربهم وربوبيته، ومفصلة لما يجهلونه في حقه، وتعريفهم بربّهم ومعبودهم معرفة مفصّلة، ومتى ما سلمت فطرهم من التغيير والتبديل فإنها ستُقرُّ بمعرفة الله وتوحيده، ولذلك لم يُطل القرآن في الاستدلال على وجود الله تعالى، لأنَّ الخليقة تُسلِّم بوجود الخالق من غير دليل، فهو أمر فطريٌّ بدهيٌّ، قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}[الروم:٣٠]، ونص على ذلك النبي-صلى الله عليه وسلم- من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعاً، قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء»(٢).

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٦)، وانظر مجموع الفتاوى (٦/ ٧٣)، وبيان تلبيس الجهمية (٤/ ٥٧٠) [ابن تيمية، ت: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد، ط: ١، ١٤٢٦هـ].

(٢) أخرجه البخاري ح ١٣٨٥،[صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط:١، ١٤٢٢]، ومسلم ح ٢٦٥٨[صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي].

قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): ((ولما كان الإقرار بالصانع فطرياً... فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله؛ فإنَّ الإله هو الذي يُعرف ويُعبد))[١]، وقال أيضاً: ((فالله سبحانه فطر عباده على محبته وعبادته وحده؛ فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفاً بالله محباً له عابداً له وحده، لكن تفسد فطرته من مرضه، كأبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه... والرسل صلى الله عليهم وسلم بُعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها، لا لتغيير الفطرة وتحويلها)) [٢].

وجميع الأمم الكافرة مع عظيم شركهم وكفرهم يقرون بالصانع[٣]، وكان المشركون يقرون بوجود الله تعالى وربوبية، قال الله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيم}[الزخرف:٩]، وقد جاء الإسلام والعرب يقرون بوجود الله، يعرفون في لغتهم كلمة الله، قال زهير ابن أبي سلمى (ت١٣ق هـ) الشاعر الجاهلي:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يُؤخّر فيوضع في كتاب فيُدخر ليوم الحساب أو يعجّل فينتقم[٤].

ولقد حكى ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) إجماع الأمم، واتفاق الملل، وتوافق الفطر على هذا الأمر الضروريّ، فقال: ((إنَّ أهل الفطر كلهم متفقون على

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٣٥)، وانظر أيضا مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٤٥).

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٥٧١).

(٤) جمهرة أشعار العرب، ص ١٦٥ [أبو زيد محمد القرشي، ت: علي البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر].

الإقرار بالصانع، وأنَّه فوق العالم))[١]، وبيَّن أنَّ هذا الأمر قد اجتمع على الإقرار به جميع الثقلين –الإنس والجن– حيث قال: ((المعروف عند السلف والخلف أنَّ جميع الجن والإنس معترفون بالخالق مقرون به... مستقر في قلوب جميع الإنس والجن، وأنَّه من لوازم خلقهم، ضروريٌّ فيهم، وإن قُدِّر أنَّه حصل بسبب))[٢]، وأوضح أنَّ الإقرار بوجود الله وربوبيته لم يكن ينازع فيه المشركون الذين دعتهم رسلهم إلى عبادة الله وحده، حيث قال: ((وأما الرب فهو معروف بالفطرة: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ}[إبراهيم:١٠]، فالمشركون من عُبَّاد الأصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به أنَّه ربهم وخالقهم ورازقهم، وأنَّه رب السموات والأرض والشمس والقمر، وأنَّه المقصود الأعظم))[٣].

****

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٦٨) [ابن تيمية، ت: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، ط:١، ١٣٨٦هـ].

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٢) [ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: ٢، ١٤١١هـ].

(٣) رسالة في الكلام على الفطرة لابن تيمية ضمن (مجموع الرسائل الكبرى) (٢/ ٣٣٧) [ابن تيمية، إحياء التراث العربي، بيروت].

المطلب الثالث: دلالة الفطرة على وجود الله وربوبيته

كل إنسان جعله الله مفطوراً ومقراً بربوبيته وألوهيته[١]، شاهداً على نفسه بأنَّه مخلوق، والله خالقه، وأنه يستحق العبادة وحده، من غير سبق تفكير أو تعليم، وإن كان لا يهتدي إلى معرفة ذلك بالتفصيل، ولكنَّه يعرف أنَّ له خالقًا كاملاً من كل وجه، وهذا أمر ضروري لبني آدم، لا ينفك منه مخلوق، وهو مما جُبلوا عليه، فهو علم ضروريٌّ لهم لا يمكن أحداً جحده، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها[٢]، لحديث أبي هريرة –رضي الله عنه –عن النبي –صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»[٣].

وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}[الأعراف:١٧٢] ، فهذه الآية تدل على أنَّ الإنسان مجبول بفطرته على شهادته بوجود الله، وأنَّه ربٌ يستحق العبادة، ولا يصح الإشراك معه، وسواء أقلنا: إنَّ الله استخرجهم من ظهر آدم واستشهدهم،

---

(١) نصصت على الألوهية مع الربوبية هنا لأن الفطرة تدل على الأمرين جميعاً، ولا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر.

(٢) انظر: أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠١١) [ابن القيم، ت: يوسف البكري، وشاكر العاروري، رمادي للنشر، الدمام، ط:١، ١٤١٨هـ]، وشرح ثلاثة الأصول للعثيمين، ص: ٨٠، وقال ابن عثيمين في مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/ ١٤٩): ((فإنَّ الإنسان بطبيعته إذا أصابه الضر قال: يا الله، حتى إننا حُدثنا أنَّ بعض الكفار الموجودين الملحدين إذا أصابه الشيء المهلك بغتة يقول على فلتات لسانه: يا الله، من غير أن يشعر؛ لأنَّ فطرة الإنسان تدله على وجود الرب)).

(٣) أخرجه البخاري ح ١٣٥٨، ومسلم ح ٢٦٥٨.

أو قلنا: إنَّ هذا هو ما ركَّب الله تعالى في فطرهم من الإقرار به، فإنَّ الآية تدل على أنَّ الإنسان يعرف ربه بفطرته.

وقد وردت أقوال عن السلف في أنَّ بني آدم أقروا بفطرهم بوجود الله وربوبيته في عالم الأرواح عندما استخرجها الله تعالى من ظهر أبيهم آدم:

قال أبي بن كعب (ت٢١): ((جمعهم يومئذ جميعاً... ثم استنطقهم، وأخذ عليهم الميثاق... اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، وسأرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي، وسأنزل عليكم كتبي، قالوا: شهدنا أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك. فأقروا له يومئذ بالطاعة))[١]، وقال ابن عباس (ت٦٨هـ): ((فليس أحد من الخلق إلا قد تكلم فقال: ربي الله))[٢]، وقال السدي (١٢٨هـ): ((فلذلك ليس في الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أنَّ ربه الله))[٣]، وقال ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) – في تفسير الآية السابقة– ((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ρ: واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك، وإقرارهم به))[٤].

ويبيّن ابن تيمية قوة دلالة الفطرة على إثبات وجود الله تعالى، وأنَّه لا يمكن لأحد دفعه إلا بمعاندة، وأنَّ الناس مطمئنون إلى الإقرار بالله تعالى، وهم مفطورون على ذلك، فيقول: ((ولهذا إذا ذُكر لأحدهم اسمه تعالى وجد نفسه ذاكرةً له مقبلة عليه، كما إذا ذُكر له ما هو عنده من المخلوقات، والمتجاهل

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٥٥٧).
(٢) المرجع السابق (١٠/ ٥٦٠).
(٣) المرجع السابق (١٠/ ٥٦١).
(٤) المرجع السابق (١٠/ ٥٤٦).

الذي يقول: إنه لا يعرفه هو عند الناس أعظم تجاهلاً ... فعُلم أن معرفته في الفطرة أثبت وأقوى، إذ كان وجود العبد ملزوم وجوده، وحاجته معلقة به سبحانه وتعالى... بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات))[1].

ودليل الفطرة أصل لكل الأدلة الأخرى الدالة على الإقرار بوجود الله وربوبيته لكل الأشياء، وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية أوجه دلالة الفطرة على وجود الله وربوبيته بقوله: ((بل الجميع مقرون بالصانع بفطرتهم، وهم خاضعون مستسلمون قانتون مضطرون من وجوه، منها: علمهم بحاجتهم وضرورتهم إليه، ومنها: دعاؤهم إياه عند الاضطرار، ومنها: خضوعهم واستسلامهم لما يجري عليهم من أقداره ومشيئته، ومنها: انقيادهم لكثير مما أمر به في كل شيء))[2].

ودلالة الفطرة على إثبات وجود الله وربوبيته من أوجه كثيرة نذكر بعضا منها:

١- الفطرة تتضمن الإقرار بربوبية الله وألوهيته.

فطر الله تعالى خلقه على الإسلام[3]، والسلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة، الذي يعني أنهم حنفاء موحدين لرب العالمين

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٨) بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٤٥).

(٣) تفسير الفطرة بالإسلام هو المعروف عند عامة السلف، من أهل العلم بالتأويل، فقد أجمعوا في قول الله تعالى: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[الروم:٣٠]، على أن قالوا: فطرة الله دين الله الإسلام. انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٨/ ٧٢) [ابن عبد البر، ت: مصطفى العلوي، محمد البكري، وزارة الأوقاف المغرب، ١٣٨٧هـ]، وانظر تفسير ابن جرير الطبري (١٨٣/١٠) فقد نقل عن عدة من السلف في تفسير الفطرة بالإسلام، وقال ابن حجر: وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام. انظر: فتح الباري (٣/ ٢٤٨) [ابن حجر، دار المعرفة، بيروت،=

بالألوهية، ومتبرئين من تأله ما سواه، وجعل ذلك من لوازم فطرهم بحيث لو تركوا ودواعيها لما كانوا إلا مقرين لله بربوبيته وألوهيته وكماله، فالفطرة تقتضي: عبادة الفاطر، وأنَّ من كان مفطوراً مخلوقاً فحري به أن يتفرغ لعبادة فاطره وخالقه، قال تعالى: {وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[يس:٢٢]، **فمن دلته فطرته على إفراد الله بالعبادة فإنَّ هذا متضمن قبل ذلك الإقرار بمعرفته وبربوبيته، ولو لم تقر بذلك لما اعترفت له بألوهيته.**

فالفطرة التي خُلق الناس وجبلوا عليها تعني الإقرار بالصانع وإثبات ربوبيته لخلقه(١)، وتعني إضافة لذلك عبودية الله بالحب والتعظيم وإخلاص الدين له، فتبين أنَّ الفطرة إقرار بأمرين: الأمر الأول: الإقرار بربوبية الله، والأمر الثاني: الإقرار بألوهيته، وهذا المراد من كلام السلف أن الفطرة هي الإسلام، أي الاستسلام بربوبية الله ووجوب إفراده بالعبادة، لكنَّ هذه الفطرة لا تعلم تفاصيل تلك العبادة إلا بإرسال الرسل، فلو تركت من دون مؤثر مفسد خارجي لبقيت على الاستسلام للمعبود الواحد سبحانه وتعالى.

وقد بيَّن علماء الإسلام أنَّ فطرة الله لخلقه تعني فطرتهم على أمرين، هما: إثبات ربوبيته وألوهيته:

قال ابن تيمية: ((وقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح:

=١٣٧٩هـ]، وحكى محمد بن نصر أن آخر قولي أحمد أن المراد بالفطرة الإسلام. انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٩)، وقال البخاري: والفطرة الإسلام. انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير: باب لا تبديل لخلق الله ح (٤٧٧٥).

(١) خطأ ابن تيمية من قال إن الفطرة هي الإقرار بمعرفة الله تعالى فقط، انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٥٩- ٣٦١)

«كل مولود يولد على الفطرة»[١] يروي عن ربه: «خلقت عبادي حنفاء»[٢] ونحو ذلك، لا يتضمن مجرد الإقرار بالصانع فقط، بل إقراراً يتبعه عبودية لله بالحب والتعظيم وإخلاص الدين له وهذا هو الحنيفية، وأصل الإيمان قول القلب وعمله، أي علمه بالخالق وعبوديته للخالق، والقلب مفطور على هذا وهذا))[٣]، وقال أيضاً: ((فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: {أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ}[الأعراف:١٧٢]، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة، فإنَّ حقيقة الإسلام أن يستسلم لله لا لغيره، وهو معنى لا إله إلا الله))[٤].

وفي موضع آخر بيَّن تضمن الفطرة لربوبيته وألوهيته وذكر الأدلة على ذلك فقال: ((والفطرة تستلزم: معرفة الله، ومحبته، وتخصيصه بأنَّه أحب الأشياء إلى العبد وهو التوحيد، وهذا معنى قول (لا إله إلا الله) كما جاء مفسراً: «كل مولود يولد على هذه الملة»[٥]، وروي «على ملة الإسلام»، وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار -رضي الله عنه- أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) سبق تخريجه قريبا بلفظ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ح ٢٨٦٥من حديث عياض بن حمار المجاشعي مرفوعا بلفظ: «إنّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا».

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٣٦-١٣٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٥-٢٤٧).

(٥) سبق تخريج الحديث قريبا بلفظ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة»، واللفظة التي ذكرها شيخ الإسلام أخرجها مسلم من رواية أبي بكر عن أبي معاوية ح ٢٦٥٨.

قال: «يقول الله: إني خلقت عبادي حنفاء»[١]، فأخبر أنَّه خلقهم حنفاء، وذلك يتضمن: معرفة الرب، ومحبته، وتوحيده. فهذه الثلاثة تضمنتها الحنيفية، وهي معنى قول لا إله إلا الله))[٢].

وبيَّن ابن القيم في كلام طويل أنَّ الفطرة اعتراف العبد بربوبية الله المتضمنة إفراد ذلك الرب بالعبادة والإخلاص، فقال عند تفسير قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[الروم:٣٠] ((فأخبر سبحانه أنَّه إنَّما فطر عباده على الحنيفة المتضمنة لكمال حبه والخضوع له والذل له وكمال طاعته وحده دون غيره، وهذا من الحق الذي خُلقت له... فكونه سبحانه أهلاً أن يعبد ويحب ويحمد ويثني عليه أمر ثابت له لذاته فلا يكون إلا كذلك))[٣]، وبيَّن ابن كثير (ت٧٧٤هـ) أن الفطرة شاملة لربوبيته وألوهيته عند تفسيره لقوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[الروم:٣٠]، فقال: ((فإنَّه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنَّه لا إله غيره))[٤].

٢- لجوء المضطر وفزعه إلى خالقه سبحانه عند الشدة والحاجة دليل على إقرارها بربوبيته قبل ذلك، فكل المخلوقات من فطرتها عند الاضطرار والفزع في الشدائد اللجوء إلى ربها وخالقها لرفع ذلك عنها، مما يدل على أنه أهل لأن يعبد، وهذا دليل على أن فطرتهم أيضا تُثبت وجوده، وأنَّه ربها ومدبرها ورازقها،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٤٤ - ٣٤٦)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٣٥)، ومجموع الفتاوى (١٥/ ٤٣٨).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٨٧)[ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت].

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٢) [ابن كثير، ت: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٤٢٠هـ].

وإلا لما ذهبت إليه واستغاثت به، قال تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا}[يونس:١٢]، وقال تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ}[الإسراء:٦٧]، وقال تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ}[الزُّمَر:٨]، وهذا الشعور أمر ضروري فطري، إذ الفقر وصف ذاتي لهم، وشعور هذا الإنسان بحاجته وفقره إلى ربه تابع لشعوره بوجوده وإقراره، فرجوع الإنسان وإنابته إلى ربه عند الشدائد دليل على أنَّه يُقر بفطرته بأنَّ له خالق متصرف مدبر رازق، قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): ((إنَّ كل مخلوق فنفسه وذاته مفتقرة إلى الخالق، وهذا الافتقار وصف له لازم، ومعنى هذا أنَّ حقيقته لا تكون موجودة إلا بخالق يخلقه، فإن شهدت حقيقته موجودة في الخارج علم أنه لا بد لها من فاعل))[(١)].

٣- أول واجب على المكلف إفراد الله تعالى بالعبادة وليس إثبات معرفته وربوبيته.

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن أول ما يجب على المكلف هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وأنَّ هذا الأمر هو الذي كانت تبدأ به الرسل عليهم السلام في دعوتها لأقوامها قبل كل شيء، ولم تكن تدعوهم لإثبات وجوده تعالى أو ربوبيته، لأنهم كانوا مقرين بذلك بفطرتهم قبل إرسال الرسل لهم، والأدلة على ذلك كثيرة:

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٢٥)، وقد كرر ابن تيمية هذ المعنى مراراً فقال: ((والمقصود أنَّ فقر المخلوقات إلى الخالق ودلالتها عليه وشهادتها له أمر فطري فطر الله عليه عباده، كما أنَّه فطرهم على الإقرار به بدون هذه الآيات)) مجموع الفتاوى (١/ ٤٧)، وقال أيضاً: ((والناس يعلمون أنَّ هذه المخلوقات آيات ودلائل للخالق، فلا بد أن يكونوا يعرفونه؛ حتى يعلمون أنَّ هذه دلائل مستلزمة له. والمقصود أنَّ هذه الطرق العقلية الفطرية هي التي جاء بها القرآن، واتفق العقل والشرع، وتلازم الرأي والسمع)) مجموع الفتاوى (١/ ٤٩).

قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء:٢٥]، ومن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال لما بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى»(١)، وحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله»(٢)، فدلت هذه الأدلة على أنَّ أوَّل واجب تدعو له الرسل عليهم السلام هو الدعوة لعبادة الله تعالى وحده، وهي معنى كلمة ((لا إله إلا الله))، التي أمر بها النبي -صلى الله عليه وسلم- مبعوثه إلى اليمن أن يبدأ بها، والتي أمُر النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن تبعه بأن يقاتلوا الكفار حتى يقروا بها، فُعلم أنَّ الابتداء بالدعوة لتوحيد الألوهية قبل الدعوة لتوحيد الربوبية دليل على أنَّ ربوبية الله لخلق ثابتة عند الخلق بدليل قبل ذلك وهو دليل الفطرة.

وقد اتفق سلف الأمة على ذلك، قال ابن تيمية: ((إن السلف والأئمة

---

(١) أخرجه البخاري ح:٧٣٧٢.

(٢) أخرجه البخاري ح: ٢٩٤٦، ومسلم ح: ٣٣، وورد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري ح: ٢٥ ومسلم ح: ٣٦ بلفظ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله».

متفقون على أنَّ أوَّل ما يُؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أنَّ من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ))[١]، وعلى هذا يكون تقرير هذه الحجَّة بأمرين: الأول: لو لم يكن الإقرار بالله تعالى وبربوبيته فطريا لدعاهم إليه أوّلاً، إذ الأمر بتوحيده في عبادته فرع الإقرار به وبربوبيته فيكون بعده[٢]، والثاني: لو لم يكن الإقرار بالله تعالى وبربوبيته فطرياً لساغ لمعارضي الرسل عند دعوتهم لهم بقول الله تعالى: فاعبدون أن يقولوا: نحن لم نعرفه أصلا فكيف يأمرنا، فلما لم يحدث ذلك دل على أنَّ المعرفة كانت مستقرة في فطرهم[٣]، وتفصيل إقرار المشركين بالله تعالى هو ما سأبحثه في المبحث التالي.

٤- إقرار المشركين بتوحيد الربوبية.

دلت النصوص على أنَّ كفار قريش كانوا مقرين بوجود الله تعالى وربوبيته قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون}[العنكبوت:٦١]، ولو لم يكونوا مقرين بربوبية الله تعالى لما قررهم بها، ولهذا كانت تقول الرسل لقومها: {أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ}[إبراهيم:١٠]، قال ابن تيمية: ((فدل ذلك على أنَّه ليس في الله شك عند الخلق المخاطبين، وهذا يبيّن أنهم مفطورون على الإقرار))[٤]، وذِكرُ القرآن لاعتراف المشركين

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ١١)، وانظر نفس المرجع: (٤٣٧/٧)، (٧/٨)، ومجموع فتاوى ابن تيمية: (٣٠٢/٧)، (٦٠٩/٧).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٣٠)، (٤٩١/٨).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٤٠/٨).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٤١).

بالإقرار بتوحيد الربوبية دليل على أنَّ توحيد الربوبية ثابت عندهم بدليل الفطرة قبل ورود دليل الشرع من وجوه عدة:

الوجه الأول: أنَّ المشركين في مكة وغيرها كانوا يعترفون بربوبية الله، ويعبدونه في الحج وغيره من العبادات، ويعبِّدون باسمه كعبد الله، ويذكرونه في أشعارهم.

الوجه الثاني: إقرار الله –سبحانه وتعالى– لجوابهم {لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} عندما سألهم النبي –صلى الله عليه وسلم– {مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ}، فلو لم يكونوا صادقين في إقرارهم بهذا التوحيد لكذَّبهم، لكنَّ الله وبخَّهم لأنهم لم يأتوا بلازم هذا الإقرار وهو إفراده بالعبادة، ولذلك قال: {فَأَنَّى يُؤْفَكُون} أي كيف تصرفون عن إفراده بالعبادة ما دام أنكم أفردتموه بالربوبية.

الوجه الثالث: أنَّ كفار قريش لم يخالفوا النبي –صلى الله عليه وسلم– في ذكره لتوحيد الربوبية في نصوص القرآن والسنة، ويكذبوا قوله، مع كفرهم وشدة معاداتهم لكل ما جاء به، فلما لم ينكروه دل على أنَّه من المسلمات عندهم التي لا يستطيعون دفعها وتكذيبها لأنَّهم قد أقروا به قبل ذلك بفطرهم.

******

المبحث الثاني: أدلة الإيمان بوجود الله وربوبيته، وإبطال ما يناقضه

المطلب الأول: نواقض ومظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

بالرغم من أنَّ الإقرار بوجود الله تعالى وربوبيته أمر مركوز في فطر بني آدم السليمة، وأطبقت عليه أغلب البشرية قديماً وحديثاً، إلا أنه وُجد من بعض بني آدم من خالفوا وانحرفوا في ذلك، ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

١ – **إنكار وجود الله تعالى:** كما يعتقد ذلك الملاحدة الذين يُسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو ذلك، ولم يؤثر عن أمة من الأمم إنكارها لوجود الله تعالى، إلا ما نسب إلى فرعون، والدهرية(١)، فأما ما نسب إلى فرعون حين قال لقومه: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}[النازعات:٢٤]، وقال: {يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}[القصص:٣٨]، فإنَّه كان يقوله مكابرة وعناداً، يقوله ظاهراً مع إقراره به باطناً(٢)، كما قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}[النمل:١٤]، وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا}[الإسراء:١٠٢].

---

(١) الدهرية: هم فرقة خالفت الإسلام، وادعت قدم الدهر والعالم، وأسندت الحوادث والنوازل إليه، وقالت: إن العالم لم يزل وأنه غير محدث، وهم الذين ينفون الربوبية، ويحيلون الأمر والنهي والرسالة من الله تعالى، ويقولون: يستحيل هذا في العقول. ويسمون أيضاً بالملاحدة، ويمكن رد أصل مذهبهم إلى مدارس الفلسفة الإغريقية. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١٥) [لابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة].

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٨)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٦).

وأما الدهرية فهم لم ينكروا وجود الله تعالى، قال الشهرستاني (ت ٥٤٨): ((أما تعطيل العالم عن الصانع العليم، القادر الحكيم، فلست أراها مقالة، ولا عرفت عليها صاحب مقالة، إلا ما نُقل عن شرذمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا: كان العالم في الأزل أجزاء مبثوثة، تتحرك على غير استقامة، فاصطكت اتفاقاً؛ فحصل العالم بشكله الذي تراه عليه، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر وجود الصانع؛ بل هو يعترف بالصانع، لكنَّه يحيل سبب وجود العالم على البحث والاتفاق؛ احترازاً عن التعليل))[١].

وقد تحدث ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) –وهو عالم بمقالات الفرق عن المنكرين لوجود الله تعالى– فقال: ((فإنَّ جحود الصانع لم يكن ديناً غالباً على أمة من الأمم قط، وإنما كان دين الكفار الخارجين عن الرسالة هو الإشراك، وإنما كان يجحد الصانع بعض الناس، وأولئك كان علماؤهم من الفلاسفة الصابئة[٢] المشركين، الذين يعظمون الهياكل والكواكب والأصنام، والأخبار المرويَّة من نقل أخبارهم وسيرهم كلها تدل على ذلك؛ ولكن فرعون موسى: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ}[الزُّخرُف:٥٤]، وهو الذي قال لهم دون الفراعنة المتقدمين: {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}[القصص:٣٨]، ثم قال لهم بعد ذلك: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}[النازعات:٢٤]... وكان فرعون في الباطن عارفاً بوجود الصانع، وإنما

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام ص: ٧٤ [الشهرستاني، ت: الفرد جيوم، طبعة مصورة عن طبعة ليدن].

(٢) الصابئة: من صبأ وهو الخروج من دين إلى دين، وقد اخُتلف فيهم على عشرة أقوال، ذكرها ابن الجوزي في التلبيس، وذكر ابن القيم أنهم أمة كبيرة، وهم قول إبراهيم عليه السلام الذين أرسل إليهم، وأهل دعوته، كانوا بحران، وكانوا قسمين: صابئة حنفاء، وصابئة مشركون، فالمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة، والبروج الاثني عشر، ويصورونها في هياكلهم. انظر: الملل والنحل: (٦٣/٢).

استكبر كإبليس وأنكر وجوده، ولهذا قال له موسى: {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ}[الإسراء:١٠٢]، فلما أنكر الصانع وكانت له آلهة يعبدها بقي على عبادتها، ولم يصفه الله تعالى بالشرك، وإنَّما وصفه بجحود الصانع، وعبادة آلهة أخرى، والمنكر للصانع منهم مستكبر كثيراً ما يعبد آلهة؛ ولا يعبد الله قط؛ فإنه يقول: هذا العالم واجب الوجود بنفسه، وبعض أجزائه مؤثر في بعض، ويقول إنَّما انتفع بعبادة الكواكب والأصنام ونحو ذلك))[(١)].

ومع أنَّ من أنكر وجود الله تعالى من الأمم السابق قليل إلا أنَّه في العصور المتأخرة كثر من ينكر وجوده، بل وبلغ الانحراف في هذا العصر الدّرك الأسفل، فأصبحنا نرى أقواماً يزعمون أنَّه لا خالق، ويجعلون هذه المقولة مذهباً يقيمون عليه حياتهم، وقامت دول على هذا المذهب تُعدُّ بمئات الملايين من البشر، وانتشرت هذه المقولة في كل مكان، وأُلفت فيها كتب، وأصبح لها فلسفة تُدَرس، وحاول أصحابها أن يسموها بالمنهج العلمي، ويدللوا عليها، إلا أنَّ هذه المقولة مع هذا الانتشار لها فإنَّ أهلها قلة في مقابل من يعترف بوجود الله تعالى في كل الأزمان حتى يومنا هذا، بل إن كثيراً من الدول والأفراد الذين كانوا يتبنون هذا المذهب الإلحادي تركوه وتبرأوا منه.

٢- **إيجاد شريك مع الله تعالى في ربوبيته**، يُعطى شيء من خصائص الربوبية التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى: فمن اعتقد وجود متصرف مع الله تعالى في أيِّ شيء من تدبير الكون: من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم، قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): ((فما من مخلوق إلا له شريك وند، والرب سبحانه

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣١).

وحده هو الذي لا شريك له ولا ند بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولهذا لا يستحق غيره أن يسمى خالقاً ولا رباً مطلقاً ونحو ذلك؛ لأن ذلك يقتضي الاستقلال والانفراد بالمفعول المصنوع وليس ذلك إلا لله وحده))[1]، والقرآن ملآن من توحيد الله تعالى، وأنَّه ليس كمثله شيء، فلا يمثَّل به شيء من المخلوقات في شيء من الأشياء، إذّ ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا فيما يستحقه من العبادة والمحبة والتوكل والطاعة والدعاء وسائر حقوقه، فلا أحد يساميه، ولا يكافيه في شيء من الأشياء، ولا يماثله شيء ولا يعادله شيء، ولا يكون معه إلهاً ولا رباً ولا خالقاً، قال تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}[مريم:٦٥]، وقال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد، اللَّهُ الصَّمَد، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد}[الإخلاص:١-٤]، وقال: {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُون}[الأنعام:١][2].

٣- **جحد بعض معاني ربوبية الله تعالى:** كمن ينفي قدرة الله على إماتته، أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك: كحال من ينفي قدر الله تعالى على بعث الأجساد بعد موتها، قال تعالى: {وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}[النحل:٣٨]، وصوره وأمثلته كثيرة، فقد يكون إنكاراً لبعث الأرواح والأجساد، وقد يكون إنكاراً لمعاد الأجساد مع الاعتراف بمعاد الأرواح، وتارة يكون إنكار البعث بالقول بتناسخ الأرواح، ونقلها إلى أجسام أخرى، وتارة أخرى يكون هذا الإنكار بإنكار معاد النفوس الجاهلة دون العالمة، ومن صور هذا

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٦٦).

الإنكار ما زعمه بعضهم أن البعث عبارة عن خلق أبدان جديدة مغايرة تماما للأبدان الفانية[١]، ومن أنكر صفات الربوبية فقد تنقَّص الله تعالى، والله كامل في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته، وقد جاء القرآن مبيناً فساد من أنكر قدرة الله تعالى على البعث، فجاءت براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول: **أحدهما: تقرير كمال علم الرب** سبحانه، كما قال في جواب من قال: {مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيم، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم}[يس:٧٨-٧٩]، **الثاني: تقرير كمال قدرته**، لقوله: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}[الحج:٦]، **الثالث: كمال حكمته**، كقوله: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِين}[الدخان:٣٨][٢].

٤- **زعمُ أنَّ الله تعالى منقسم لذوات**، وأنَّ شيئاً من العالم أو كله جزء من الله تعالى، وعدم إفراد الله في ذاته، بل ذهب بعضهم إلى القول بمخالطة الله لخلقه وحلوله واتحاده بهم، بل زاد بعضهم القول بوحدة الوجود بين الله تعالى وسائر المخلوقات، فلا يكون الوجود إلا واحداً هو الله وحده، وقد انبرى ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) لبيان هذا الضلال في كثير من كتبه، فقال: ((فإن الله سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد؛ فيمتنع عليه أن يتفرق أو يتجزأ أو يكون قد رُكِّب من أجزاء))[٣]، وقال أيضاً: ((وأما أن يكون الخلق جزءاً من الخالق تعالى فهذا كفر صريح، يقوله أعداء الله النصارى، ومن غلا

---

(١) انظر توضيحا لهذه الأمثلة: الشفا (١٠٦٧/٢)[للقاضي عياض، دار الفيحاء، عمان، ط:٢، ١٤٠٧هـ]، والرد على المنطقيين، ص: ٤٥٨ [ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٢٨٣، ٣١٤، ٩/ ٣٥، ٣٦)، الفوائد، ص:٥ [ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ١٣٩٣هـ]، ومفتاح دار السعادة (٢/ ٣٥).

(٢) الفوائد، ص:٦-٧.

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٠).

من الرافضة؛ وجهال المتصوفة، ومن اعتقده فهو كافر... والرب رب، والعبد عبد، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته؛ ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، وليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلول الرب تعالى به، أو بغيره من المخلوقات ولا اتحاده به))[1]، بل إنَّ من اعتقد توحيد وحدة الوجود فالتوحيد عندهم هو عدم التفريق بين الخالق والمخلوق، ومن فرق بينهما فهو مشرك، قال ابن القيم – مبيناً حقيقة التوحيد والشرك عند القائل بوحدة الوجود – ((ومذهب القوم أنَّ عُبَّاد الأوثان وعُبَّاد الصلبان وعُبَّاد النيران وعُبَّاد الكواكب كلهم موحِّدون، فإنَّه ما عبد غير الله في كل معبود عندهم، ومن خر للأحجار في البيد، ومن عبد النار والصليب فهو موحد عابد لله، والشرك عندهم إثبات وجود قديم وحادث وخالق ومخلوق ورب وعبد))[2].

******

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٧٤).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٥١٩).

المطلب الثاني: أدلة الإيمان بوجود الله وربوبيته

أولاً: يشتمل توحيد الربوبية على أمرين: الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربوبيته، فالأدلة المثبتة لربوبية الله هي نفسها الأدلة المثبتة لوجوده:

وقد سبق في المطلب الأول أن توحيد الربوبية يشتمل على أمرين: الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربوبيته، فالإقرار بوجود الله هو إقرار بوجود خالق مدبر رازق لما عداه، لا فرق بينهما، والأدلة التي تثبت وجوده تعالى هي نفسها تصلح لإثبات ربوبيته وكذلك العكس، ولذلك لما سأل فرعون موسى في قوله: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ}[الشعراء:٢٣] أجابه موسى بأدلة الربوبية وأنَّه رب السماوات والأرض، فاستدل بربوبيته وخلقه وتدبيره ورزقه للأشياء على وجوده، فربوبيته للأشياء دليل على وجوده، ووجوده مقتض لربوبيته، ولا يمكن أن يكون موجوداً وليس رباً، لأنَّ من أثبته لم يثبته على أنَّه مخلوق مساو للمخلوقات، وإنَّما أثبته إثباتاً مخالفاً لبقية الموجودات، فإثباته إثبات أنَّه خالق مدبر رازق.

ثانياً: الطريقة الأكمل في الاستدلال على وجود الله تعالى وربوبيته هي الاستدلال بالله على خلقه، لا الاستدلال بالخلق على الخالق:

ولا ريب أنَّهما طريقان صحيحان، كل منهما حق، والقرآن مشتمل عليهما، لكن دلالة الخالق على المخلوق، والفعَّال على الفعل، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العلوية والفطر الصحيحة أظهر من العكس، فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه، إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليه، وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ}[إبراهيم:١٠]، أي أيشك في الله، حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده، وأيُّ دليل أصح وأظهر من هذا المدلول، فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى،

ثم نبهوا على الدليل بقولهم: {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[إبراهيم:١٠] [١]، قال ابن القيم (ت٧٥١هـ): ((وسمعت شيخ الإسلام، تقي الدين بن تيمية، قدس الله روح، يقول: كيف يُطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أنَّ وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمها))[٢].

ثالثاً: قيمة الأدلة والبراهين في الاستدلال على وجود الله تعالى وربوبيته:

الاستدلال بالأدلة السمعية والكونية والعقلية على وجود الله وربوبيته لا يعني عدم فطرية الإيمان بوجوده وربوبيته: فإنَّ الأصل في بني آدم ممن سلمت فطرتهم من التبديل والإفساد أنَّ قلوبهم مفطورة على الإقرار بتوحيد الربوبية من غير احتياج إلى نظر واستدلال، لكنَّ ذلك لا يمنع أن نستدل عليه بالأدلة الصحيحة الأخرى من الأدلة الشرعية والعقلية والحسية، وفي هذا تقوية لما استقر في الفطر، وإصلاح لما طرأ عليها من فساد من التربية والجهل، ولهذا لما وُجدت شرذمة قليلة من الخلق أنكروا وجود الله تعالى بأفواههم وجادلوا وطالبوا بالدليل عليه جاءت الأدلة الشرعية الدالة عليه، ولا ريب أنَّ الخلق ليسوا في حاجة لبحث مسألة وجود الله، فإنَّ الاقرار بوجود الله مركوز في الفطرة والخلقة التي خلق الله الإنسان عليها كما سبق بيانه بالتفصيل، ولهذا السبب لم تكثر نصوص القرآن والسنة من تقرير وجود الله تعالى، وإنَّما يمكن

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٩-٦٠).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٩-٦٠) .

أن يُستنتج ذلك استنتاجاً[١]، قال الشهرستاني (ت ٥٤٨): ((أما تعطيل العالم عن الصانع... فما عددت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان، فإنَّ الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير {أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[إبراهيم:١٠]... وإن هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك أنَّهم يلوذون إليه في حال الضراء... ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنَّما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه»[٢]، ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد {ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا}[غافر:١٢]))[٣]، وقد يحتاج لسرد الأدلة على وجود الله لمن تغيرت فطرته وفسدت، قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): ((إنَّ الإقرار بالخالق وكماله يكون فطرياً ضرورياً في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، **وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة، وأحوال تعرض لها**))[٤].

وقد حذر ابن القيم (ت٧٥١هـ)، من اهمال وتهميش الأدلة والبراهين الشرعية والعقلية على إثبات وجود الله تعالى، وبيَّن مكانتها في الشريعة ورد على الذامين والمشككين بها من وجوه عدة:

---

(١) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في مسلك الرسل في إقرار وجود الله: ((ففي إثبات وجود الله: اكتفوا في الاستدلال عليه بالإشارة مع دقة المأخذ وسهولة العبارة، لقلة من أنكر وجوده تعالى ممن مسخت فطرهم، ووضح للعقلاء جهلهم ومجافاتهم الحق وتنكبهم طريق الصواب)) فتاوى ورسائل عبد الرزاق عفيفي، ص: ٢١٣ [عبد الرزاق عفيفي، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ].

(٢) أخرجه البخاري ح ١٣٩٩، ومسلم ح ٢٠ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام، ص ٧٤-٧٥.

(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٧٣).

١- بيَّن أقسام الناس بالنسبة من الشواهد والأدلة، فقال ابن القيم: ((ترك التعلق بها انسلاخ عن العلم والإيمان بالكلية، والتعلق بها وحدها دون من نصبها شواهد وأدلة انقطاع عن الله وشرك في التوحيد، والتعلق بها استدلالاً ونظراً في آيات الرب ليصل بها إلى الله هو التوحيد والإيمان))[١].

٢- أن الله تعالى شهد بأنَّ آياته القولية والكونية دالة عليه، فقال ابن القيم: ((والمقصود أنَّ الله سبحانه يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه، فإنَّ دلالتها إنَّما هي بخلقه وجعله، ويشهد بآياته القولية الكلامية المطابقة لما شهدت به آياته الخلقية، فتتطابق شهادة القول وشهادة الفعل، كما قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد}[فُصِّلَت:٥٣]، أي أنَّ القرآن حق، فأخبر أنَّه يدل بآياته الأفقية والنفسية على صدق آياته القولية الكلامية))[٢].

٣- أنَّ الأدلة السمعية والخلقية والعقلية متفقة في الدلالة على الله تعالى لا تعارض بينها، فقال ابن القيم: ((وأمَّا آياته العيانية الخلقية والنظر فيها والاستدلال بها فإنَّها تدل على ما تدل عليه آياته القولية السمعية، وآيات الرب هي دلائله وبراهينه التي بها يعرفه العباد، وبها يعرفون أسماءه وصفاته وتوحيده وأمره ونهيه، فالرسل تخبر عنه بكلامه الذي تكلم به وهو آياته القولية، ويستدلون على ذلك بمفعولاته التي تشهد على صحة ذلك وهي آياته العيانية، والعقل يجمع بين هذه وهذه، فيجزم بصحة ما جاءت به الرسل، فتتفق شهادة السمع والبصر والعقل والفطرة))[٣].

---

(١) مدارج السالكين: (٣/٤٦٥).

(٢) مدارج السالكين (٣/٤٢٢).

(٣) مدارج السالكين: (٣/٤٣٠).

٤- أن كل توحيد قامت عليه الأدلة والبراهين ففيه دلالة على كماله وشرفه، فقال ابن القيم: ((يصح بالشواهد أي: بالأدلة والآيات والبراهين، وهذا مما يدل على كماله وشرفه، أن قامت عليه الأدلة ونادت عليه الشواهد وأوضحته الآيات والبراهين، وما عداه فدعاوي مجردة لا يقوم عليها دليل ولا تصح بشاهد، فكل توحيد لا يصح بشاهد فليس بتوحيد، فلا يجوز أن يكون توحيداً أكمل من التوحيد الذي يصح بالشواهد والآيات، وتوحيد القرآن من أوّله إلى آخره كذلك))[١].

٥- ضلال من أعرض عن الأدلة والآيات السمعية والكونية الدالة على إثبات وجود الله تعالى: وقاله في معرض رده على من قال: وهو أن لا يشهد في التوحيد دليلاً[٢] فقال ابن القيم: ((وليس بصحيح، بل الواجب أن يشهد الأمر كما أشهده الله إيَّاه، فإنَّ الله سبحانه نصب الأدلة على التوحيد، وأقام البراهين وأظهر الآيات، وأمرنا أن نشهد الأدلة والآيات، وننظر فيها ونستدل بها، ولا يجتمع هذا الإثبات وذلك النفي ألبتة، والمخلوقات كلها آيات للتوحيد، وكذلك الآيات المتلوة أدلة على التوحيد، فكيف لا يشهدها دليلاً عليه، هذا من أبطل الباطل، بل التوحيد كل التوحيد أن يشهد كل شيء دليلاً عليه مرشداً إليه، ومعلوم أنَّ الرسل أدلة للتوحيد، فكيف لا يشهدهم كذلك؟ وكيف يجتمع الإيمان بهم وعدم شهودهم أدلة للتوحيد؟))[٣].

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤٥٠-٤٥١).

(٢) من كلام صاحب منازل السائرين.

(٣) مدارج السالكين: (٣/٤٦٥).

رابعاً: خطأ طريقة المتكلمين في أنَّ أوَّل واجب على المكلف هو النظر بالعقل أو القصد إليه لإثبات وجود الله تعالى وربوبيته لاعتقادهم بأنَّ الفطرة لا تكفي في إثبات ذلك:

يرى أصحاب هذا القول أنَّ الإنسان منذ ولادته إلى أن يصل إلى سن التكليف يكون خالي الذهن، ليس لديه أيُّ معرفة بخالقه، وأنَّ المعرفة لا توجد إلا عن طريق النظر والاستدلال العقلي فقط، فقد ذهب المتكلمون من المعتزلة[١] وجمهور الاشاعرة[٢] إلى إنكار المعرفة الفطرية في إثبات وجود الله وربوبيته وإيجاب النظر أو القصد إلى النظر المفضي – في نظرهم – إلى قيام الاستدلال وصحة البرهان، يقول القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ): ((إن سأل سائل فقال: ما أوَّل واجب الله عليك؟ فقل: النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكير

---

(١) المعتزلة: سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، وتبعه عمرو ابن عبيد، ولقولهم بأن الفاسق لا مؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بينهما، ويجمعهم القول بنفي الصفات عن الله تعالى، والقول بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وأنه ليس خالقاً لأفعال العباد. انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٥٥) [لأبي الحسن الشعري، ت: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، ط:٣]، والفرق بين الفرق، ص: ٩٣ [عبدالقاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، ط:٢، ١٩٧٧].

(٢) الأشاعرة: هم أتباع أبي الحسن الأشعري الذي هم على مذهبه بعد رجوعه عن الاعتزال وقبل أن يرجع إلى معتقد السلف، وهم لا يثبتون من الصفات إلا سبعاً، ويؤولون بقية الصفات، ويصرفونها عن ظاهرها بتأويلات عقلية، وينفون عن الله علو الذات، ويقولون الإيمان هو التصديق، ولهم خلافات أخرى، وهم مع ذلك يوافقون أهل السنة في غالب أصول الاعتقاد، انظر من كتبهم: الإرشاد للجويني، والمحصل للرازي، والمواقف للإيجي. انظر الملل والنحل (١/٩٤) [الشهرستاني، مؤسسة الحلبي].

والنظر))[١]، وقال عبد القاهر البغدادي (ت٤٢٦هـ): ((الصحيح عندنا قول من يقول: إنَّ أوَّل الواجبات على المكلف النَّظر والاستدلال المؤديان إلى المعرفة بالله تعالى))[٢].

وقد خالف أهل السنة والجماعة هذا القول وذهبوا إلى إنَّ أوَّل واجب على المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقد سبق[٣] ذكر أدلة أهل السنة المثبتة بأن أول واجب على المكلف إفراد الله تعالى بالعبادة وليس إثبات معرفته وربوبيته فضلاً أن يكون النظر أو القصد إلى النظر، ويكفي في ذلك ذكر سياق إجماع السلف المبني على الكتاب والسنة، وذلك في قول أبي بكر بن المنذر (ت٣١٩هـ) ((أجمع كل من نحفظ عنه أنَّ الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وأنَّ كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ من كل دين يخالف دين الإسلام – وهو بالغ صحيح يعقل – أنَّه مسلم))[٤].

---

(١) شرح الأصول الخمسة، ص:٣٩ [القاضي عبد الجبار، طبعة أم القرى بمصر، مكتبة وهبة، ط:٢، ١٤٠٨هـ].

(٢) أصول الدين، ص: ٢١٠ [عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، ط:٢، ١٤٠٠هـ].

(٣) وقد سبق ذكر أدلة أهل السنة في ذلك في المبحث الأول تحت عنوان (٣- أول واجب على المكلف إفراد الله تعالى بالعبادة وليس إثبات معرفته وربوبيته) وذلك لبيان أن معرفة الله فطرية، ولذلك بدأ الله تعالى بدعوتهم لعبادته وتوحيد الألوهية، ولو لم يكن الإقرار بالله تعالى وبربوبيته فطرياً لدعاهم إليه أولا، إذ الأمر بتوحيده في عبادته فرع الإقرار به وبربوبيته فيكون بعده.

(٤) الإجماع، ص: ١٥٤[ابن المنذر، ت: أبو حماد حنيف، دار طيبة، الرياض، ط:١، ١٤٠٢هـ]، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/١٠-١١).

خامساً: الدلائل المؤكِّدة على دليل فطريَّة الإيمان بوجود الله وربوبيته من أدلة العقل والحس والشرع.

سبق في المبحث الأول سياق أدلة الفطرة على إثبات وجود الله وربوبيته، وهي أدلة كافية لمن سلمت فطرته من التبديل والتغيير، ولا يعني ذلك إهمال ما عداها من أدلة عقلية وحسية وشرعية كما سبق بيان أهميته، ولذلك ذكر أهل السنة كل هذه الأدلة لبيان أهمية المسألة وحاجة الناس إليها:

١- دلالة العقل على وجود الله وربوبيته.

أدلة العقل الموصلة لهذه النتيجة كثيرة جداً، تجمعها حقيقة عقلية أوَّلية واحدة، وهي دلالة الأثر على المؤثر، إذ العالم كله دليل وشاهد على وجود الله وربوبيته لكل المخلوقات، ونذكر بعضاً من تلك الحجج العقلية التي تدخل ضمنها:

الأول: دليل الخلق والاختراع والحدوث(١):

وقد دل على ذلك قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُون}[الطور:٣٥-٣٦]، فكل عاقل يعلم علماً يقينياً بالمشاهدة والضرورة العقلية أنَّ كل مخلوق مسبوق بعدمه، وهذا دليل قاطع على وجود الخالق له، وذلك لافتقار المخلوق إلى الخالق، واحتياج المحدَث للمحدِث، قال أبو الحسن الشعري: (ت٣٢٤هـ) : ((الإنسان إذا فكر في خلقته، من أيِّ شيء ابتدأ، وكيف دار في أطوار الخلقة طوراً بعد طور

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٣٥)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٩٥)، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، ص: ١٩١-٢٠٩ [سعود العريفي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط:١، ١٤١٩هـ]، وحقيقة المثل الأعلى وآثاره، ص ٦٦ [عيسى السعدي، دار ابن الجوزي، ط: ١، ١٤٢٧ هـ].

حتى وصل إلى كمال الخلقة، وعرف يقيناً أنه بذاته لم يكن ليدبر خلقته، وينقله من درجة إلى درجة، ويرقيه من نقص إلى كمال، علم بالضرورة أنَّ له صانعاً قادراً، عالماً، مريداً، إذ لا يتصور حدوث هذه الأفعال المحكمة من طبع لظهور آثار الاختيار في الفطرة، وتبين آثار الإحكام والإتقان في الخلقة))[1]، وقال الشيخ ابن عثيمين (ت١٤٢١هـ): ((وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأنَّ هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة، وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}[الطور:٣٥] يعني أنهم لم يُخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى))[2].

وبدلالة الأثر على المؤثر، والصنعة على الصانع أقام موسى –عليه السلام– الحجة على فرعون لما سأله {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ}[الشعراء:٢٣] فقال له موسى –عليه السلام–: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ}[الشعراء:٢٤]، فوجود الخلق وعظم شأنه دليل على وجود الخالق وعظم قدرته وقدره وسعة علمه وكمال حكمته[3]، قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) عن هذا الدليل: ((معلوم بضرورة العقل أنَّ المحدَث لابد له محدِث، وأنه يمتنع تسلسل المخلوقات باتفاق العقلاء، وذلك بأن يكون للمحدَث محدِث، وللمحدِث محدَث إلى غير غاية، وهذا يسمى تسلسل المؤثرات، والعلل، والفاعلية، وهو لا يزول

---

(١) الملل والنحل (١/ ٩٤).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، ص: ٨١، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/ ١٤٧)، وفتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، ص: ٢١٣.

(٣) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، ص: ٢١٣.

إلا بمحدث أزلي لا يحتاج إلى غيره))[١].

الثاني: دليل النظر في المخلوقات والعناية[٢]:

تعددت البراهين القاطعة لمن نظر في المخلوقات والعناية والهداية المحيطة بها، وكل ما يتصل بها من أسباب لوجودها وبقائها على أنَّ هناك خالق لها كامل، مدبر لها من كل وجه، وإنَّ المتأمل في القرآن ليجده حافلاً بالدلائل القطعية الداعية إلى التفكر والتدبر فيما محسوس ومشاهد في الآفاق والأنفس، دلالة على عظم الخالق وكمال قدرته وسعة علمه، قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد}[فُصِّلَت:٥٣]، قال الخطابي (ت٣٨٨هـ): ((إنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك، واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيئة للمطاعم والملابس والمشارب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب، مستعملة في المرافق، والإنسان كالمُمَلّك البيت المخول ما فيه، وفي هذا كله دلالة واضحة على أن العالم مخلوق، بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعاً حكيماً، تام القدرة بالغ الحكمة))[٣]، ويدخل في هذا الدليل كثير من صور الاستدلال، منها:

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٩٥).

(٢) بحث ابن تيمية دليل العناية في بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٩٥)، وقد ساق الإمام ابن مندة في كتابه (التوحيد) عدة فصول تدل على هذا المعنى. انظر كتاب التوحيد [ابن مندة، ت: علي الفقيهي، مطابع الجامعة الإسلامية، ط:١، ١٤٠٩هـ] الفصل الحادي والعشرون وما بعده.

(٣) شعار الدين وبراهين المسلمين نقلاً عن بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٠٦).

١- **دلالة الإتقان:** فكل المخلوقات خلقت بإتقان وكمال صنع يدل على وجود خالق لها متقن في صنعه، وعلى كماله، قال تعالى: {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}[النمل:٨٨]، وقال: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ}[السجدة:٧].

٢- **دلالة التناسق:** فكل المخلوقات علويها وسفليها تجري وفق سنن كونية ثابتة لا تتغير، ثمرتها التوافق الدقيق بين المخلوقات، والموافقة التامة لوجود الإنسان، قال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[النحل:١٢]، قال ابن القيم (ت٧٥١هـ): ((فلا يتأمل العاقل المستبصر مخلوقاً حق تأمله إلا وجده دالاً على فاطره وبارئه، وعلى وحدانيته، وعلى كمال صفاته وأسمائه... وهذه طريقة القرآن في إرشاده الخلق إلى الاستدلال بأصناف المخلوقات وأحوالها على إثبات الصانع وعلى التوحيد))[(١)].

٣ - دلالة الهداية العامة:

خص الله تعالى كل مخلوق بهيئة وصورة، يطابق المنفعة المنوطة به، وأعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، فأعطى كل شيء زوجه من جنسه، ثم هداه إلى منكحه، ومطعمه، ومشربه، ومسكنه[(٢)]، قال تعالى: {قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى، قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}[طه:٥٠]، فالهداية العامة هي قرينة الخلق في الدلالة على الرب تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته وتوحيده[(٣)]، فالله سبحانه أعطى كل شيء خلقه

---

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٦٢)

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٧٩)، وتفسير القرطبي (١١/ ٢٠٤) [شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط:٢، ١٣٨٤هـ].

(٣) شفاء العليل، ص: ٧٨.

المختص به، ثم هداه لما خُلق له، ولا خالق سواه سبحانه، ولا هادي غيره، فهذا الخلق وهذه الهداية من آيات الربوبية ووحدانيته(١).

٢- دلالة الحس على وجود الله وربوبيته:

وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجوه منها:

الأول: إجابة من دعا الله تعالى، وسأله حاجة له دينية أو دنيوية، وخاصة لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى، وأتى بشرائط الإجابة، وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا، وبيَّن هذا الدليل الحسي الله تعالى في قوله: {وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ}[الأنبياء:٧٦]، وقال أيضاً: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ}[الأنبياء:٨٤].

وفي حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه– أنَّه لما دخل رجل والرسول –صلى الله عليه وسلم– يخطب فقال: ((يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال فرفع رسول الله–صلى الله عليه وسلم– يديه، فقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا»، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئاً، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل التُرس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستاً))(٢)، والأدلة كثيرة، والواقع يشهد بهذا.

الثاني: آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات): وهي الأمور الخارجة عن نطاق البشر، التي يجريها الله تعالى تأييدًا لرسله ونصراً لهم، ويشاهدها الناس أو يسمعون بها، ويحسُّون بها، ولا يستطيع أحد مجاراتها، فإنَّ هذه الآيات المعجزات لهي أكبر دليل حسي على وجود رب خالق متصرف يجري هذه

---

(١) المرجع السابق، ص: ٧٩.

(٢) أخرجه البخاري ح ١٠١٣، ومسلم ح ٨٩٧ .

الآيات على أنبيائه ورسله تصديقاً لهم، وآيات الأنبياء كثيرة، فمنها الآيات التي جاء بها موسى –عليه السلام– قال الله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ۝ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا}[الإسراء:١٠١-١٠٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((التسع الآيات البينات: يده، وعصاه، ولسانه، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم آيات مفصلات))[(١)]، فهذه الآيات التسع التي أجراها الله تعالى على يد موسى –عليه السلام–هي ((دلالات يستدل بها على قدرته ووحدانيته))[(٢)] ووجوده.

ومثال ثان: آية عيسى –عليه السلام–في قوله تعالى: {وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[آل عمران:٤٩].

ومثال ثالث: لمحمد –صلى الله عليه وسلم– في انشقاق القمر: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ}[القمر:١]، ((فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى))[(٣)].

وقال الخطابي (ت٣٨٨هـ): ((ولقد سلك بعض مشايخنا في هذا –يعني معرفة الصانع وإثبات وحدانيته –طريقة الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٩٩)

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٣٦)

(٣) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين، ص: ٨٤.

الرسالة، لأنَّ دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها، ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلا في وجوب قبول ما دعا –صلى الله عليه وسلم– وهذا النوع مقنع في الاستدلال لمن لا يتسع فهمه لاستدراك وجوه سائر الأدلة))[1]، وقال ابن القيم (ت٧٥١هـ) –عن آيات الأنبياء ودلالتها على إثبات وجود الله تعالى–: ((وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها، فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل، ودلالتها ضرورية بنفسها، ولهذا يسميها الله سبحانه آيات بينات، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإنَّ انقلاب عصاً تقلها اليد ثعباناً عظيماً يبتلع ما يمر به ثم يعود عصاً كما كانت من أدل الدليل على وجود الصانع، وحياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكليات والجزئيات))[2].

٣– دلالة الشرع على وجود الله وربوبيته:

دلت الأدلة القولية السمعية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– على إثبات وجود الله تعالى، كما دل العقل والحس والفطرة[3]، وليس بين هذه الأدلة تعارض في الدلالة على إثبات الصانع، بل إن الأدلة القولية اشتملت على كل هذه الأدلة وغيرها على أكمل وجه وأتم بيان وأوضحه بطرق عديدة، خبرية وعقلية[4]، وليس كما يزعم مخالفوهم عن مذهب السلف:

---

(١) شعار الدين وبراهين المسلمين نقلاً عن بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٥١).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ١١٩٧) [ابن القيم، ت: علي الدخيل الله، دار العاصمة، ط:١، ١٤٠٨هـ].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤٣٠).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل(٨/٣٥٤)، (٩/ ٣٣٣)، والبيهقي وموقفه من الإلهيات، ص: ١٠٤ [أحمد بن عطية الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط:٢، ١٤٢٣هـ].

أنَّ دلالة الشارع إنَّما هي مجرد خبر عن وجود الله خالياً من الأدلة العقلية وغيرها[١]، قال ابن تيمية: ((فكيف يكون أهل الكتاب والسنة والإيمان يقولون: إنَّ الله تعالى إنَّما يُعرف وجوده بمجرد خبر الشارع المجرد))[٢]، وقال أيضاً: ((إنَّ تعريف الشارع ودلالة الشرع ليس بمجرد الإخبار، كما يظنه من يظن ذلك من أهل الكلام والفلسفة، فإنَّ الله سبحانه وتعالى ضمَّن كتابه العزيز فيما أخبر به عن نفسه وأسمائه وصفاته من الأدلة والآيات والأقيسة، التي هي الأمثال المضروبات ما بيَّن ثبوت المخبر بالعقل الصريح، كما يخاطب أولي الألباب والنهى والحجر ومن يعقل ويسمع))[٣].

وهذه الأدلة المتنوعة التي تضمنتها الأدلة الشرعية كثير منها هي التي يستدل بها أهل الكلام[٤] وغيرهم على إثبات وجود الصانع، على غاية الإحكام

---

(١) يسوق ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٦٤) هذا الزعم عن بعضهم: ((أما الفرقة التي تدعى بالحشوية فإنهم قالوا: إنَّ طريق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل، أعني أنَّ الإيمان بوجود الذي كلَّف الناس التصديق به يكفي فيه السمع، أن يتلقى من صاحب الشرع كما يتلقى منه أحوال العبادة وغير ذلك، مما لا مدخل للعقل فيه))، ويرد على هذا الزعم الباطل في بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٦٩) بقوله: ((ومما يبيّن ذلك، أنَّ القول الذي حكاه عنهم لا يُعرف في الإسلام عالم معروف قال به، ولا طائفة معروفة قالت به... فإنَّ هذا لا يقوله عاقل)).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٧٢).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٧٢)

(٤) أهل الكلام: هم المشتغلون بعلم الكلام، ويعرفونه بأنه: (علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه)، وطريقتهم أنهم يشتغلون ببحث مسائل أصول الدين معتمدين على طرق عقلية وفلسفية تخالف الكتاب والسنة، وفيه تقديم ما تدل عليه عقولهم على الكتاب والسنة، ومن فرقهم: الجهمية والمعتزلة وغيرهما، انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية(١/١٧٨)، وشرح المقاصد (١/٧) [مسعود التفتازاني، الناشر دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٤٠١هـ].

ونهاية التمام، وأنَّ خُلاصة ما يذكره أهل الكلام والفلسفة إنما هو بعض ما بيَّنه القرآن والحديث، مع سلامة ذلك عما في كلامهم من التناقض والاختلاف، واشتماله على ما تقصر عنه نهاية عقولهم، ومالا يطمعون أن يكون من مدلولهم[١]، قال ابن تيمية: ((فإن الكتاب والرسول وإن كان يخبر أحياناً بخبر مجرد، كما يأمر أحياناً بأمر مجرد، فهو يذكر مع إخباره عن الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله من الدلالة والبيان والهدى والإرشاد ما يبيّن الطرق التي يعلم بها ثبوت ذلك، وما يهدي القلوب، ويدل العقول على معرفة ذلك، ويذكر من الآيات والأمثال المضروبة التي هي مقاييس عقلية وبراهين يقينية ما لا يمكن أن يذكر أحد من أهل الكلام والفلسفة ما يقاربه، فضلا عن ذكر ما يماثله، أو يفضل عليه، ومن تدبر ذلك رأى أنه لم يذكر أحد طريقاً عقلياً يعرف به وجود الصانع أو شيء من أحواله من أهل الكلام والفلاسفة إلا وقد جاء القرآن بما هو خير منه، وأكمل وأنفع وأقوى وأقطع بتقدير صحة ما يذكره هؤلاء))[٢].

ومن تدبر القرآن الكريم وجد أن الآيات المُنبِّهة على الأدلة المُفْضِية إلى وجود الصانع سبحانه في الكتاب العزيز هي على ثلاث أنواع[٣]:

إما آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية، وإما آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع، وإما آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعا[١].

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٧٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٥٢)

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٩٠-١٩٤) ودرء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٢٦-٣٢٩).

فأما الآيات التي تتضمن دلالة العناية فقط فمثل قوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا}[النبأ:٦] إلى قوله:{وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا}[النبأ:١٦]، ومثل قوله تعالى: {فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}[عبس:٢٤]، ومثل هذا في القرآن كثير.

وأما الآيات التي تضمنت دلالة الاختراع فقط فمثل قوله تعالى: {فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ}[الطارق:٦]، ومثل قوله تعالى: {أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}[الغاشية:١٧]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

فأما الآيات التي تجمع الدلالتين فهي كثيرة أيضاً بل هي الأكثر، مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة:٢٢]، فإنَّ قوله: {الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}تنبيه على دلالة الاختراع، وقوله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء} تنبيه على دلالة العناية، وأكثر الآيات الواردة في هذا المعنى يوجد فيها النوعان من الدلالة.

وليس الشرع مقتصر في دلالته على دليل الاختراع والعناية، فإنَّه من وجه آخر من تدبر الأدلة الشرعية من القرآن والسنة والكتب المنزلة والأديان السماوية السابقة قبل تحريفها وجدها دالة على وجود الله تعالى من وجوه عديدة، لا يسعها هذا البحث، ويمكن تلخيص ما سبق مع ذكر طرق أخرى في النقاط التالية:

---

(١) دليل العناية والاختراع سبق ذكرهما في الأدلة العقلية لأن العقل دل عليهما، وذكرتهما في الأدلة الشرعية لأنَّ الشرع نبَّه عليهما للدلالة على أنَّ الشرع لا يهمل جانب العقل ولا يقتصر على الخبر فقط.

١- معرفة الصانع بمعرفة صفات الله تعالى، وهو الاستدلال بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة لإثبات وجود الله تعالى(١).

٢- كل الرسل والأنبياء والكتب المنزلة أخبرت عن وجود الله تعالى، الخالق لهذا العالم، المدبر لجميع شؤونه.

٣- كل ما جاءت به الشرائع من العقائد الصحيحة، والأخلاق القويمة، والأحكام العادلة إذا تأملها الإنسان علم أنَّ هناك رب موجود، حكيم عليم بمصالح عباده، أنزلها وشرعها، فهي ليست من قدرات الخلق، فهم عاجزون على الإتيان بمثلها، ولو اجتمعوا على ذلك(٢).

٤- الأدلة الآمرة بالنظر في الآيات الكونية والنفسية، والتفكر فيها للوصول لإثبات وجود الله(٣).

٥- ما جاء به الشرع من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على وجود الرب تعالى القادر على إيجاد ما أخبر به(٤).

٦- الأدلة التي نصت على معرفة الصانع بالفطرة والضرورة، وأنَّ جميع الخلق مفطورون على ذلك.

٧- ائتلاف القرآن وعدم تناقضه وتصديق بعضه بعضًا كل ذلك يدل على

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٩٤)، فقد نص ابن تيمية أنَّ معرفة الصانع تُعرف بمعرفة صفات الله تعالى.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/ ١٤٩) وشرح العقيدة الواسطية، ص: ٥٩ [ابن عثيمين، ت: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، ط:٥، ١٤١٩هـ].

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٥٥)، وقال ابن تيمية في المرجع السابق: ((ومما نبه على بعضه القرآن من الاستدلال بالآيات النفسية والأفقية وهي أدلة عقليه)).

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، ص: ٥٩.

أنَّ هناك رب موجود تكلم به، وهذا الأمر لا يدخل تحت طاقة الخلق[١]، قال تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}[النساء:٨٢].

٨- كل نص ورد فيه اسم (الرب) أو ذُكر فيه خصيصة من خصائص الربوبية، كالخلق، والرزق، والملك، والتقدير، والإحياء والإماتة، والنفع والضر، والتدبير، وغيرها فهو من أدلة الربوبية، والأمثلة على ذلك كثيرة: كقوله تعالى: {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِين}[الفاتحة:٢]، فهو المالك، والسيد المطاع، والمصلح لكل موجود سوى الله تعالى، والرب هو الخالق البارئ المصور قال تعالى: {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِين}[الأعراف:٥٤]، وقال {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ}[الحشر:٢٤]، فلا خالق سواه، البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته، المصور خلقه كيف شاء[٢]، والرب هو الرازق قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِين}[الذاريات:٥٨]، والرب هو المالك كقوله تعالى في الملك: {قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ}[المؤمنون:٨٨]، والرب هو المبدئ والمعيد كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}[الروم:٢٧]، فهو الذي يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه ويوجده، بعد أن لم يكن شيئاً، ثم يفنيه بعد ذلك، ثم يعيده، كما بدأه بعد فنائه[٣]، والرب هو المحيي والمميت، كقوله تعالى: {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ}[البقرة:٢٥٨]، والرب هو النافع الضار، قال

---

(١) القرآن الكريم معجزة للنبي ρ، وسبق ذكر دليل المعجزات في الأدلة الحسية، لكن ذكرته هنا لأن القرآن الكريم هو أصل الأدلة الشرعية، فله ارتباط بالأدلة الشرعية وارتباط بالأدلة الحسية.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٤٨٥).

تعالى: {قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا}[الفتح:١١]، ((أي لا أحد يملك دفع الضر الذي أراد الله إنزاله بكم، ولا منع النفع الذي أراد نفعكم به، فلا نافع إلا هو، ولا ضار إلا هو تعالى، ولا يقدر أحد على دفع ضر أراده ولا منع نفع أراده))[(١)]، والرب هو المدبر لأمر هذا الكون كما قال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ}[يونس:٣].

****

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٣٩٦) [محمد أمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـ].

الخاتمة

يمكن إبراز أهم ما توصل إليه البحث من نتائج فيما يلي:

١ – توحيد الربوبية يشتمل على أمرين: الإقرار بوجود الله تعالى، والإقرار بأفعاله المختصة به من الخلق والملك والإحياء والإماتة، وغيرها من صفات الربوبية، فمن يقر بوجود الله يلزمه أن يقر بربوبيته وكذلك العكس.

٢– أهمية ومنزلة دليل الفطرة على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته، وذلك لأن معرفة الله تعالى هي أساس الإيمان به، ومن رحمته –سبحانه وتعالى– أن فطر الناس على تلك المعرفة وجبلهم على الإقرار بها.

٣– كل إنسان جعله الله مفطوراً ومقراً بربوبيته وألوهيته، شاهداً على نفسه بأنَّه مخلوق، والله خالقه، وأنه يستحق العبادة وحده، من غير سبق تفكير أو تعليم، وإن كان لا يهتدي إلى معرفة ذلك بالتفصيل، ولكنَّه يعرف أنَّ له خالقًا كاملاً من كل وجه، وهذا أمر ضروري لبني آدم، لا ينفك منه مخلوق، ومن أعظم الحقائق المركوزة في فطر بني آدم على مر العصور، والتي شهدت بها عقولهم.

٤–الكتب الإلهية والرسل والأنبياء جاءت مقررة لما يعرفه الناس من وجود ربهم وربوبيته، ومفصلة لما يجهلونه في حقه، وتعريفهم بربّهم ومعبودهم معرفة مفصّلة، ومتى ما سلمت فطرهم من التغيير والتبديل فإنها ستُقرُّ بمعرفة الله وتوحيده.

٥– لم يُطل القرآن في الاستدلال على وجود الله تعالى لأنَّ الخليقة تُسلِّم بوجود الخالق من غير دليل، فهو أمر فطريٌّ، وأجمعت الأمم الكافرة مع عظيم شركهم وكفرهم بالإقرار بالصانع.

٦– بالرغم من أنَّ الإقرار بوجود الله تعالى وربوبيته أمر مركوز في فطر بني

آدم السليمة، وأطبقت عليه أغلب البشرية قديماً وحديثاً، إلا أنه وجد شرذمة قليلة من بعض بني آدم ممن خالفوا وانحرفوا في ذلك، فمنهم من أنكر وجوده تعالى، ومنهم من أشرك معه في ربوبيته، ومنهم من جحد بعض معاني ربوبيته، وكل هؤلاء مكابر معاند مخالف لبداهة العقول.

٧- تنوعت أدلة الفطرة على إثبات وجود الله وربوبيته من أوجه كثيرة ومتعددة.

٨- الطريقة الأكمل في الاستدلال على وجود الله تعالى وربوبيته هي الاستدلال بالله على خلقه، لا الاستدلال بالخلق على الخالق.

٩- الاستدلال بالأدلة السمعية والكونية والعقلية على وجود الله وربوبيته لا يعني عدم فطرية الإيمان بوجوده وربوبيته، لأن في هذا تقوية لما استقر في الفطر، وإصلاح لما طرأ عليها من فساد من التربية والجهل، ولهذا لما وُجدت شرذمة قليلة من الخلق أنكروا وجود الله تعالى بأفواههم وجادلوا وطالبوا بالدليل عليه جاءت الأدلة الشرعية الدالة عليه.

١٠- جاءت الدلائل المؤكِّدة على دليل فطريَّة الإيمان بوجود الله وربوبيته من أدلة العقل والحس والشرع.

١١- دل العقل على وجود الله وربوبيته بأدلة كثيرة جداً، تجمعها حقيقة عقلية أوَّلية واحدة، وهي دلالة الأثر على المؤثر، إذ العالم كله دليل وشاهد على وجود الله وربوبيته لكل المخلوقات، ومن ذلك دليل الخلق والحدوث، ودليل النظر في المخلوقات والعناية.

١٢- دل الحس على وجود الله وربوبيته بأدلة كثيرة جداً منها: إجابة من دعا الله تعالى، وآيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) وغيرها.

١٣- دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته من وجوه كثيرة جداً على أكمل وجه وأتم بيان وأوضحه بطرق عديدة،

خبرية وعقلية.

التوصيات:

١ – تنبيه الباحثين إلى أهمية البحوث الإسلامية في إقرار وجود الخالق تعالى بين كثرة البحوث الإنسانية التي لا تأتي بما يُجلي ويوضح أمر هذه المسألة العظيمة التي يحتاجها كل بشر على وجه الأرض.

٢– إرشاد الباحثين إلى أنه يمكن أن يتناول الباحثون في هذا العصر مسألة إثبات وجود الله وربوبيته بطرق متنوعة من البحث العقلي والحسي والشرعي تضيف للمكتبة الإسلامية بحوث علمية مميزة.

٣– إنَّ العالم الغربي والشرقي المتأثر بنظريات أديانه ومفكريه بحاجة ماسة لبحوث إسلامية موافقة للفطرة السليمة التي إن وجدت كان لها أثر كبير على تلك المجتمعات في تغيير عقائدها وتوجهاتها.

****

فهرس المصادر والمراجع

١- الإجماع، ابن المنذر، ت: أبو حماد حنيف، دار طيبة، الرياض، ط:١، ١٤٠٢هـ.
٢- أحكام أهل الذمة، ابن القيم، ت: يوسف البكري، وشاكر العاروري، رمادي للنشر، الدمام، ط:١، ١٤١٨هـ.
٣- الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود العريفي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط:١، ١٤١٩هـ.
٤- أصول الدين،عبد القاهر البغدادي،دار الكتب العلمية، ط:٢، ١٤٠٠هـ.
٥- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ الحكمي، ت: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط: ٢، ١٤٢٢هـ.
٦- بدائع الفوائد، ابن القيم، دار الباز، ت: هشام عبد العزيز عطا- عادل العدوي، ط:١، ١٤١٦هـ.
٧- بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، ت: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد، ط: ١، ١٤٢٦هـ.
٨- البيهقي وموقفه من الإلهيات، أحمد بن عطية الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط:٢، ١٤٢٣هـ.
٩- تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله الجبرين، دار العصيمي، ط:٢.
١٠- تفسير ابن كثير، ت: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٤٢٠هـ.
١١- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ت: عبد الله التركي، دار هجر، ط:١، ١٤٢٢هـ.

١٢- تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط:٢، ١٣٨٤هـ.
١٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، ت: مصطفى العلوي، محمد البكري، وزارة الأوقاف المغرب، ١٣٨٧هـ.
١٤- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٠٠١م.
١٥- التوحيد، ابن مندة، ت: علي الفقيهي، مطابع الجامعة الإسلامية، ط:١، ١٤٠٩هـ.
١٦- تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله، ت: زهير الشاويش، ط:١، ١٤٢٣هـ، المكتب الاسلامي.
١٧- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد القرشي، ت: علي البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر.
١٨- حقيقة المثل الأعلى وآثاره، عيسى السعدي، دار ابن الجوزي، ط: ١، ١٤٢٧ هـ.
١٩- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: ٢، ١٤١١هـ.
٢٠- رسالة في الكلام على الفطرة لابن تيمية ضمن (مجموع الرسائل الكبرى)، ابن تيمية، إحياء التراث العربي، بيروت.
٢١- الرد على المنطقيين، ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت.
٢٢- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، طبعة أم القرى بمصر، مكتبة وهبة، ط:٢، ١٤٠٨هـ.
٢٣- شرح ثلاثة الأصول، لابن عثيمين، دار الثريا، ط:٤، ١٤٢٤هـ.

٢٤- شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ت: شعيب الأرناؤوط وعبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، ط:١٠، ١٤١٧هـ.
٢٥- شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، ت: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، ط:٥، ١٤١٩هـ.
٢٦- شرح المقاصد، مسعود التفتازاني، الناشر دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٤٠١هـ.
٢٧- الشفا، للقاضي عياض، دار الفيحاء، عمان، ط:٢، ١٤٠٧هـ.
٢٨- شفاء العليل، ابن القيم، ت: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٢٩- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط:١، ١٤٢٢.
٣٠- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
٣١- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، ت: علي الدخيل الله، دار العاصمة، ط:١، ١٤٠٨هـ.
٣٢- العين، الخليل الفراهيدي، ت: د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٣٣- الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ت: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، ط:١، ١٣٨٦هـ.
٣٤- فتاوى ورسائل عبد الرزاق عفيفي، عبد الرزاق عفيفي، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ.
٣٥- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٦- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، ط:٢، ١٩٧٧.
٣٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٣٨- الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ١٣٩٣هـ.
٣٩- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط: ٨، ١٤٢٦هـ.
٤٠- القول السديد، عبد الرحمن السعدي، وزارة الشئون الإسلامية، ط: ٢، ١٤٢١هـ.
٤١- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط: ١، ١٤١٠هـ.
٤٢- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ.
٤٣- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمع: فهد السليمان، ط: دار الوطن، ١٤١٣هـ.
٤٤- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط:٣، ١٤١٦هـ.
٤٥- معارج القبول، أحمد حكمي، ت: عمر محمود، دار ابن القيم، ط:١، ١٤١٠ هـ.
٤٦- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٧- مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الشعري، ت: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، ط:٣.
٤٨- الملل والنحل، الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.

٤٩- نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، ت: الفرد جيوم، طبعة مصورة عن طبعة ليدن.

SOURCE AND REFERENCES

1. Consensus, Ibn al-Munthir, T: Abu Hamad Hanif, Dar Taiba, Riyadh, T: 1,1402H.
2- Judgments of the People of Dhimah, Son of Values, T: Youssef Al-Bakri, Shakir Al-Arouri, Gray Publishing, Dammam, I: 1, 1418 AH.
3. Conventional psychological evidence of the origins of the belief, Saud al-Arifi, Dar Alam al-Usaqah, Mecca, I: 1, 1419 AH.
4- Al-Din's origins, Abdul-Qahr al-Baghdadi, Dar al-Bibook al-Science, A.H. 1400H.
5. The flags of the year published for believing in the Al-Mansoura survivor community, Hafiz Al-Hakmi, T: Hazim Al-Qadi, Ministry of Islamic Affairs, Waqf, Da 'wah and Al-Rasheed, Saudi Arabia.
6. Benefits deposits, Ibn al-Qaim, Dar al-Baz, T: Hisham Abdulaziz Atta, Adel al-Adawi, I: 1, 1416 AH.
7- Al-Jehma '
8- Al-Bihaqi and his attitude to divines, Ahmed bin Attiyah al-Ghamdi, Deanship of Scientific Research, Islamic University, p. 2, 1423 AH.
9- Facilitation of the Islamic faith, Abdullah al-Jabrin, Dar al-Usaimi, I: 2.
10- Interpretation of the son of many, Te: Sami Salama, Taiba Publishing and Distribution House, I: 2, 1420 AH.
11- Sabra al-Tabari, Mohammed bin Jarir al-Tabari, T: Abdullah al-Turk, Dar Hajar, I: 1, 1422 AH.
12- Interpretation of Al-Qardobi, Shams Al-Din Al-Qardobi, T: Ahmed Al-Birdouni, Ibrahim Atfish, Egyptian Book House, T: 2, 1384 AH.
13. "Prelude to the meaning and support of the country, Ibn Abdelbar, T. Mustafa Alawi, Mohamed Al-Bakri, Ministry of Endowments of Morocco, 1387 AH.
14- Language refinement, Abu Mansour Al-Azhari, Arab Heritage Revival House, Beirut, 2001.
15- Al-Tawheed, Ibn Minda, Ti '

16- Taseer al-Aziz al-Hamid, Suleiman bin Abdullah, T: Zuhair al-Shawish, I: 1, 1423 AH, Islamic Office.
17- The Jamhara Ashar al-Arab, Abu Zeid Mohammed al-Qurshi, T: Ali al-Bajadi, Egypt's renaissance of printing and publishing.
18- The truth of the ideal and its effects, Issa al-Saadi, Dar Ibn al-Jawzi, I: 1, 1427 H.
19- To prevent the conflict of reason and transport, Ibn Timiyah, T: Mohammed Rashad Salem, Imam Mohammed Bin Saud Islamic University, p. 2, 1411 AH.
20. A message to speak on the occasion of Timiyeh's son within (the sum of the grand letters), Ibn Timiyeh, Arab Heritage Revival, Beirut.
21- Reply to Logicians, Ibn Temia, Dar al-Marefa, Beirut.
22- Explanation of the five origins, Judge Abdul-Jabbar, Um al-Qura
23- Explanation of three origins, son Othimin, Dar al-Thuraya, I: 4, 1424 AH.
24- Tahweeb, son of Abu al-Azz al-Hanafi, T: Shoaib al-Arnaout and Abdullah al-Turk, Al-Raha Foundation, I: 10, 1417 AH.
25- An explanation of the Mediterranean faith, Ibn Othimin, T: Saad al-Samil, Dar Ibn al-Jawzi, T: 5, 1419 AH.
26- Al-Maqadeer, Masood al-Tatizani, Publisher, Namani Knowledge House, Pakistan, 1401H.
27- Al-Shafa 'a, Judge Ayyyad, Dar al-Faiha, Amman, p. 2,1407 AH.
28- Healing Al-Aleel, Ibn Al-Qaim, T: Mohammed Badruddin Halabi, Dar Al-Thawr, Beirut, 1398 AH.
29- Saleh al-Bukhari, Mohammed bin Ismail al-Bukhari, T: Mohammed Zuhair, Dar Tuq al-Najah, I: 1, 1422.
30- Saleh Muslims, Muslims bin Hajjaj, T: Mohammad Fouad Abdel Baqi, Arab Heritage Revival House.
31- The lightning strikes sent in response to Al-Jehma and Al-Muhammad, Ibn Al-Qaim, T: Ali Al-Dakhil Allah, Dar Al-D.C., I: 1,1408H.
32- Al-Ain, Hebron Al-Farahidi, T.D. Mehdi Bakzoumi and D. Ibrahim al-Samarai, Crescent House and Library.

33- Al-Fatwa'

34- Fatwa and letters by Abdul Razaq Afifi, Abdul Razaq Afifi, Dar Ibn Hizam, 1420 AH.

35- Fatah al-Bari, Ibn Hajr, Dar al-Marefa, Beirut, 1379 AH.

36- The difference between the difference, Abdul Gahir al-Baghdadi, Dar al-Aqaf al-Nadeed, I: 2, 1977.

37- Separation in boredom, vibes and bees, Son of Beams, Khanji Library, Cairo.

38- Benefits, Ibn al-Qaim, Science Books House, Beirut, p. 2, 1393 A.D.

39- The perimeter dictionary, Mohammed bin Jacob Al-Turouz Abadi, Al-Raha Foundation, 8th, 1426H.

40- Al-Saeed ', Abdul Rahman al-Saadi, Ministry of Islamic Affairs, 2, 1421H.

41- Tongue of Arabs, Ibn Manzoor, Dar Sadr, I: 1, 1410H.

42- Total fatwas, Ibn Temiyah, T: Abd al-Rahman bin Kassim, King Fahd's Mosque Printing Complex, 1416 AH.

43- Total fatwas and letters of Ibn Athimin, collection: Fahd al-Sulaiman, I: Dar al-Watan, 1413 AH.

44- The Salkin runways, Ibn Qim al-Josiyah, T: Mohammed al-Mu 'tasim Allah al-Baghdadi, Arab Book House, p. 3, 1416H.

45- Maaraj al-Kabul, Ahmad Hakmi, T: Omar Mahmoud, Dar Ibn al-Qaim, T: 1, H 1410.

46- Key to Dar Al-Sa 'idah, Ibn Al-Qaim, Dar Al-Bookshop, Beirut.

47- Articles by Islamists, Abu al-Hassan al-Sha 'ri, T: Helmut Ritter, Arab Heritage Revival House, I: 3.

48- Boredom and bees, Shahristani, Halabi Foundation.

49- End of Speech Science, Al-Shahristani, T: Individual Guillaume, Photographic Edition of Leiden.

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	الملخص باللغة العربية.	١٧٧٩
٢	ABSTRACT	١٧٨٠
٣	المقدمة:واشتملت على أهمية الموضوع، ومشكلته وأهدافه، ومنهجه، وخطته.	١٧٨١
٤	المبحث الأول: دلالة الفطرة السليمة على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته.	١٧٨٥
٥	المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية.	١٧٨٥
٦	المطلب الثاني: أهمية ومنزلة دليل الفطرة على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته.	١٧٨٨
٧	المطلب الثالث: دلالة الفطرة على وجود الله وربوبيته.	١٧٩١
٨	المبحث الثاني: أدلة الإيمان بوجود الله وربوبيته، وإبطال ما يناقضه.	١٨٠١
٩	المطلب الأول: نواقض ومظاهر الانحراف في توحيد الربوبية.	١٨٠١
١٠	المطلب الثاني: أدلة الإيمان بوجود الله وربوبيته.	١٨٠٧
١١	دلالة العقل على وجود الله وربوبيته.	١٨١٤
١٢	دلالة الحس على وجود الله وربوبيته.	١٨١٨
١٣	دلالة الشرع على وجود الله وربوبيته.	١٨٢٠
١٤	الخاتمة.	١٨٢٧
١٥	التوصيات	١٨٢٩
١٦	فهرس المصادر والمراجع.	١٨٣٠
١٧	فهرس الموضوعات.	١٨٣٧

تم بحمد الله تعالى